نفس المرأة

انصرفت اكثر الباحثين الى درس طبائع المرأة وميولها الجنسية واخلاقها الخاصة حتى اذا ما كانت من نهوض المرأة لمباراة الرجل في ميدان الاقتصاد وتشوقها بعد ذلك الى مشاركته في الحقوق السياسية اثر في هذا البحث جماعة من اجلة الاعلام عنوا بتمحيصه وتجريده عما علق به من خرافات الاقدمين وتوهمهم جارين في اسلوبهم على لا يدع مجالاً للظن والشبهات اللاحقة بآراء الاقدمين والسادلة على الحقيقة ستاراً من الغلو يعلو بالمرأة الى مستوى الملائكة او يحطها الى دركات الجحيم ومن الغريب انا لا نجد بحثاً صادقاً يوضح الامر الخفي من حقيقة المرأة ويكشف عن اسرار نفسها على ان معظمهم حرموا حق الاطلاع على خواصها الخفية فجاءت نتائجهم مزيجة فاسدة المقدمات والنتائج ولم يفرق بعضهم بين صفاتها الخلقية وبين الصفات العارضة التي اكتسبتها في احوال خاصة

وربما اتفق علماء النفس ان رأوا المرأة في حال الضعف او الخوف او الاحتيال او الرياء وزعموا ان هذه الصفات من طبائعها الخاصة ونسبوا هذه النزعة الى الاخلاق في الاجيال الماضية فهي لا تزال تستحكم او تحجب اليوم طبائع المرأة التي اتت عليها سنة النشوء والارتقاء فبدلتها او محتها . ولقد مرت على المرأة عصور وهي بعيدة من الحياة الفكرية والعملية تزاد في الطاعة العمياء لوليها فكانت اشبه بالاطفال وظن ان الزمان تغير والمرأة تبدلت ولكن معظم علماء النفس واقفين عند الآراء القديمة يحسبونها راغبة بان تهب حياتها خدمة الرجل

خلعت المرأة من اسار الجمود وشاركت الرجل في الحياة العملية وتركت في زوايا القرون صفاتها القديمة وتحلت باخلاق جديدة فلا تصح فيها آراء الغالين في احتقارها ولا المغرقين في اطرائها

ولا بد للباحث ان يتساءل هل للمرأة صفات نفسية خاصة بها تميزها عن الرجل وما هي تلك الصفات الخاصة التي لا يؤثر فيها مركزها الاقتصادي والاجتماعي ؟

يقول علماء الحياة باختلافات جوهرية بين الخليتين اللتين تتولد الحياة من اجتماعهما ولكن تترجح الحياة متوازنة بحسب الخلية الذكرية او الانثوية فهي مدفوعة بشدة الاحداث

بقوتها العضوية وهذه الصفات تبدو آثارها في الاحياء وكلما ارتقى الجنس البشري كانت الخواص الجنسية اوضح اثراً في تركيب المرأة وطباعها فتميل بها الى السكون والدعة والراحة بينما نرى الرجل جلداً على مشاق الحياة يتجشم الاخطار ويخوض غمار الجهاد ويرى كل ما حوله يدفعه الى المناجزة والاقدام

واذا سلمنا بآراء علماء الحياة والنفس اتضح لنا سبب تخلق المرأة باخلاقها الخاصة واشغالها في المجتمع مركزها الخاص فللرجل الحرب والجهاد والمغامرة والنشاط والحزم وللمرأة العطف والصبر والهدوء الا انها تشذ في بعض الاحيان فتفوق الرجل حزماً وعقلاً وقد يوقد الرجل نار الثورة فتسعى في اخمادها وتهدئة روعه ويحملها ميلها الى السكون النفسي على الاعتصام بحبل الدين وهي اقل اقداماً على الجرائم من الرجل لانحطاطها من ناحية القوى الجسدية والعقلية ويزعم علماء النفس ان المرأة ضعيفة المدارك مما يحملها على الاستسلام لعواطفها فهي غريبة عن الحرب والعلم والفنون وسنرى فيما يلي فساد مزاعمهم في هذا الصدد

سار علماء النفس والحياة على اسلوب واحد في ابحاثهم فأدت بهم الى نتائج متشابهة فقالوا ان المرأة اليوم هي ذات المرأة في القرون السالفة ويتبين لك خطل آرائهم من عرضها على احوال الحياة الحقيقية واذا تتبعنا ارتقاء العالم الحيواني وضحت لنا المناقضة بين آراء الباحثين في المرأة وبين حالتها الحاضرة على اتم اشكالها

المرأة المحاربة — نتقدم الى البحث في احدى صفات المرأة التي قالوا بها من الجبن وصغر النفس ونتخذ هذه الصفة اساساً لبحثنا فقد اجمعت آراؤهم على ان المرأة لا تستطيع القتال والذود عن الوطن فلما ارتفع صوت النساء المطالبات بالحقوق دافعها المنكرون عليها بتوهم انها لا تستطيع مشاركة الرجل في الحرب والذب عن حياض الوطن على انا اذا امعنا النظر وجدنا هذه الصفة عارضة لا جوهرية وليست هي من صفاتها الخلقية التي لا تتغير فنساء الحبش يقاتلن مع ازواجهن جنباً الى جنب راكبات على الجمال او الخيل ومتقلدات سلاح الرجال ولا يقصرن عنهم شجاعة واقداماً وصبراً على المشقات ويقول الرحالون ان النساء يتدربن على فنون القتال فينشأن شديدات القوى وقد اكسبتهن ممارسة الحروب بطشاً لا يتصف به سوى شجعان الفتيان

ويقول تاسيت ان جيوش البريتونيين القدماء كانت تزحف الى القتال والنساء في طليعتها ويقول مومسن بمثل ذلك عند الايبريين فقد كانت نساؤهم يشجعن

الحصون ويقتلن [illegible] في الحرب.

وأكد جماعة من السياح أن النساء الافريقيات اللاتي في [illegible] الامازون شاركن الرجال في القتال [illegible] بعضهم آخرون مثل ذلك عن نساء [illegible] [illegible]

وذكر [illegible] أن نساء [illegible] يتمرسن بالفنون الحربية حتى يضارعن الرجال. وقد [illegible] من نساء الامازون [illegible] وفي امريكا الجنوبية يقاتلون أحيانا كثيرة من [illegible] النساء المحاربات

ويشاهد الرحالة [illegible] النساء في [illegible] نساء من الامازون [illegible] مع الرجال في الحرب

وفي داهومي جيش من الافريقيات مؤلف من صنفين أحدهما الصنف العامل وعدده ثلاثة آلاف والآخر [illegible] حربية شديدة [illegible] على مقاساة الآلام [illegible] بالشجاعة والبأس [illegible] الأخطار ويقتحمن المعارك [illegible] سنة ١٨٦١ [illegible] دهشة واعجاباً مقدام [illegible] النساء الافريقيات [illegible] وكانت القواعد من [illegible] أي [illegible] الفرقة الأولى [illegible] حتى [illegible] بالنساء وكان الملك [illegible] حتى ظفرن بالنصر

وعند [illegible] سنة ١٩٣ [illegible] الرجال [illegible] وصحت [illegible] وسادت [illegible] الآنسة [illegible] محمد [illegible] الرجال

إن [illegible] الصبيات [illegible] الروس [illegible] في [illegible] في ذلك من [illegible]

ولا [illegible] ولا سيما في

الحروب الحاضرة وقد اصبح معظم الاعتماد فيها على الحذر والتيقظ والحكمة ففي وسع المرأة ان تشارك الرجل في الدفاع الوطني ولا تقل عنه جلداً واقداماً لولا ان ذلك يعوقها عن واجباتها المنزلية وانجاز وظيفة الام

قابلية الانفعال في الجنسين . — كتبت الوف من المجلدات في بسيكولوجية المرأة تراوحت بين الاغراق في تعظيم « الشهيدة الابدية » وامتهان « عدوة الرجل القديمة » ولم يشبه مؤلفوها انهم رسموا خطوطاً لصورة المرأة في عصر او عصور سالفة واغفلوا وصف امرأة اليوم والغد فرماها بعضهم بكل شائنة وقال الآخر انها ادق احساساً وارق شعوراً من الرجل وممن ذهب هذا المذهب الفيلسوف اوغست كونت فقال «تؤثر المؤثرات الطبيعية في المرأة بسهولة وشدة» وقد برهن على ذلك غير نفر من الكتاب وترى انفعالها واضحاً في جميع الصروف فانها تقطب جبينها وتغضب وتحتقر ويؤلمها الاضطراب وتنقاد لعواطفها فهي في ذلك اقرب الى الطفل منها الى الرجل وسرعة التأثر في المرأة تجعلها طوراً ارق وطوراً اقسى من الرجل ثم ان الفواعل يزول اثرها من نفسه لانه عرضة لتقلبها فالحزن يعقب السرور والشر يتلو الاسى كما تتوالى السحب في السماء ولكن طبيعة المرأة الساكنة اذا لامستها الفواعل تركت فيها اثراً يصعب زواله فترى عواطف الحب والبغض والرحمة والقسوة ارسخ في المرأة مما هي في الرجل

على اننا نرى الرجل في بعض اطواره لا يقل عن المرأة في الاستسلام للعواطف ويرجع ذلك الى احوال البيئة والاخلاق الشخصية لا الجنسية

الحب ريحان حياة الرجل غير انه حياة المرأة ذاتها ولكن الا تفعل العواطف في الرجل فعلها في المرأة ? قال لاكوردير في كتاب بعث به الى احدى صديقاته « يخطئ من يقول ان الرجل يعيش بالعقل والمرأة بالعواطف فالرجال يحيون ايضاً بالعواطف الا انها راقية تنزل لديكن منزلة العقل »

وبعض علماء النفس ينكرون على المرأة هذه المزية ويعزون اليها نقصاً بيناً سببه شواعرها كافة ويصفونها بتطرف يسير بها الى قمة المجد او يهبط بها الى دركات الدمار فهي مفرطة في الحالين والانانية والغيرية على اشدهما عند المرأة لان فطرتها الثائرة ترمي بها الى الغايتين المتناقضتين

وخالف هؤلاء نفر ادعوا انها ولعة بالاعتدال مجبولة عليه بما لها من سكون الطبع فهي ثابتة في عملها وافكارها تقاوم الفواعل التي ربما اخرجتها عن جبلتها الفطرية الاولى

ينكرون عليها حق الحكم لانها تنقاد في ذلك لعواطفها وحاستها الخرقاء

ويوافقهم الآخرون على هذا الرأي مستندين في ذلك الى مقدمات أخرى فهم يقولون ان اخلاق المرأة السكونية تجعلها في رتبة اجتماعية

تلك هي آراؤهم المختلفة باختلاف وجهة النظر ولا شك ان هذه الخواص ليست جنسية وانما هي شخصية واذا عاش الرجل في بيئة تشبه بيئة المرأة لا يلبث ان يتخلق بهذه الاخلاق لان قابلية التأثر لا حد لها وهذه الصفات انما هي نتيجة احوال المحيط

ذكر هربرت سبنسر ان المرأة تفوق الرجل قسوة في البلاد التي يمثل اهلها بالاسرى وقبيلة الداكوتاس تسلم الشيخ الى النساء يقتلنه تعذيباً ويقول ماكسيم دي كامب ان النساء اثناء ثورة الكومون فقن الرجال فظاعة وشراسة

ومع عاطفة القسوة يتلألأ الحنان الاشفاقي فقد عطفت نساء الجبابرة على الراحلين والمهاجرين فاولتهم ضروب اللطف والرقة والعطف على ما شاهده الجوابون كستانلي ولفنستون وغيرهما

والباحث المنصف يجد للنساء مواقف مشهورة في الاخطار وعواطف محمودة في تسكين ثورة الرجال فقد دخل بعضهن في صفوف الثوار لا ليستبسلن بل ليبثثن من روح السكينة في النفوس فحفظ لهن التاريخ صفحات مجيدة

المرأة والديانة — رقة شعور المرأة جعلتها متدينة في جميع العصور والشعوب وهي اسرع تلبية لدعاة المذاهب فقد كان من النساء مؤمنات مخلصات كان لهن في ثبات الديانات ونشرها تأثير شديد

خضوع المرأة الدائم لسلطة الرجل سهل عليها الاعتقاد بعناية إلهية سامية فهي لا تزال تتضرع الى الواقع الشافي في الماضي مصدر الرحمة الازلية وينبوع السلام الابدي وادى بها ذلك الى الاعتقاد بتفوق كل من يسودها وكيف لا تعتقد بذلك وهي تتوقع منه المكافأة على ما تتجشمه من المتاعب في هذا العالم فهي مسوقة الى التدين لا عن ميل فقط بل عن حاجة وتربيتها الاتكالية زادتها اعتصاماً بالايمان لانه يقول بالله قادر يحميها ويرعاها

وهي لا تشعر بخوف الله فقط بل تشعر بحبه وتبتهل اليه في النوازل الشداد فيشرق على الظلمات المحيطة بها نور رجاء ينعش به عيشها وكلما قلت مطالبها في الحياة زادت اعتصاماً كما يشهد الدين وكثيراً ما تنتابها اضطرابات دينية تشغل صوابها

ولا يجوز لنا الاغضاء عن ان الرجل هو الذي وجد في المرأة تلك الفطرة ودعا الى الدين فأجابته مذعنة شأنها في الخضوع لما تعتقد به العظمة والتفوق فهي تتلقف من افواه الاحبار مبادئ الدين وتستعذب سلطته لانه يمنحها غبطة دائمة ويمني آمالها بحياة مستقبلة تمحو جميع آلامها الحاضرة فلم يخطر لها قط ان ترغب عن ذلك الجمال الفتان والأمل المتلالي

وعلينا ان نفرق بين العبادة والتدين فشعور الرجل بالدين يختلف عن شعور المرأة بذلك الدين وبين الفتى والفتية والاخ والاخت اتباع المذهب الواحد اختلاف جنسي في الايمان وتلازم العجائز المعابد واجدات في الصلاة غبطة ونعيماً وهن في ذلك اقرب الى الرجال الطاعنين في السن منهن الى اخواتهن في ريعان الصبا وكلما تعمق الباحثون في درس هذه العاطفة عند المرأة وجدوها منزوية عن المركز الذي تشغله في المجتمع الحاضر فهي اقوى استمساكاً بحبل الدين واشد خضوعاً للعقائد والافكار . حفظت المرأة عاداتها ابان حالتها الاجتماعية والادبية وتلك العاطفة الدينية ليست سوى نتيجة اعمال الرجل في الوف من السنين

هل المرأة ارق شعوراً من الرجل . منذ خمسين سنة قام جدال بين علماء النفس في انحطاط احساس المرأة فذهب لومبروزو وتلامذته الى ضعف شعورها ووافقه في رأيه مانتيكزا ومن تابعه وينطوي في هذين المبدأين العامين نظريات ثانوية لا تكاد تحصى وانما نشأ تناقضهم عن اقتصار الباحثين على بعض الموضوعات المحدودة واوسع مجال الاختلاف ان التجارب اجريت في ممالك مختلفة ومما لا ريب فيه ان البيئة وطرز المعيشة تأثيراً في الشعور فالبرابرة اقل شعوراً بالالم من المتمدنين وهؤلاء متفاوتون ايضاً في شعورهم فان ابناء الطبقات العالية المترفين من الفئة الراقية والانيقة العيش يشعرون بالالم فوق شعور المزارعين وعلى ذلك لم يسعنا ان نعزو التفاوت في الشعور الى الجنسية بل الى احوال الحياة التي تفرق بين الجنسين

قلنا ان بين العلماء اختلافاً كبيراً على ارتقاء حواس المرأة وانحطاطها وقد استشهد القائلون بانحطاطها على زعمهم بانها لا تستطيع التمييز بين انواع الخمور المختلفة وذلك يشير الى ضعف حاسة الذوق ويقولون مثل هذا في سائر حواسها فيرد المعارضون عليهم قائلين انما تعجز المرأة تمييزاً بين صنوف الخمر لانها لا تدمنها كالرجال والمدمنات منهن يضارعن في ذلك ارق الرجال

اما شدة احساسها بالالم فيفسر كثرة الآلام التي تشاهد ويقول ماشكيز ان شعورها به اضعف شعور الرجل ويذهب سرجي الى ما يناقض ذلك فيقول ان المرأة سريعة الانفعال كالطفل وتذرف العبرات عند اقل طارئ وتبدو على محياها علائم الالم غير ان مظاهر الالم ليست هي ذاته وللتجربة وسوق الحياة شأن خطير في الشعور فان النساء لكثيرات الاختلاط بالرجال اللواتي يمارسن حياة العمل يصبح دمهن عصبياً فيقدرن على احتمال المصائب والاوجاع ويتصلبن على قساء الخطوب ويقول لمبروزو ان ضعف حواس المرأة نعمة كبرى في المجتمع اذ يسهل عليهن تحمل آلام الحمل والوضع

سرعة الانفعال . ـــ نعود في ذلك الى آراء الفيسيولوجيين فقد برهنوا ان السبب معيشة المرأة اثر في جسمها ونفسها لان حياتها المنزلية وانحصارها في انجاز الواجبات العائلية قلل من مناعة جسمها وخفض من عضلاتها ونشاطها وقال ان هذه العواطف الرقيقة حيث يضعف الشاهد على ان سرعة الانفعال لا تعود الى تركيبها العضلي بل تعزى الى قلة العمل الذي ينشأ عن قلة التمرين فالنساء العاملات اقل تعرضاً للانفعالات في نكد عيش غيرهن من النساء وقد قال احد الباحثين ان امرأة العصور القديمة تختلف كل الاختلاف عن امرأة اليوم

ولا ريب في ان دخول النساء في الحياة العامة واساليب تهذيبهن التي تبدلت كان لها اشد اثر في حياتهن المعنوية فكلما تحككت المرأة بالرجل فقدت صفاتها الانثوية فهل يأتي يوم تضمحل فيه خواصها الجنسية ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال

استبحار العمران وانتشار التمدن يخففان من الم المرأة الناتج عن الامومة فهل يرجى ان يقويا على ملافاة الاوجاع حتى يلاشياها ؟ والذي نراه ان الامومة كانت وستكون [illegible] لا يبدل شأن

الحب والجمال المعنوي . ـــ ان ما تخسره المرأة مادياً تربحه معنوياً وهذه الامومة تكبدها آلاماً لا تطاق الا انها تحبوها ارق الصفات التي يتزين بها الجنس البشري وهي الحب والحنان فالمرأة في سهرها الدائم على طفلها وعنايتها به يرتقي شعورها بالمحبة والعطف

في حب الامهات تتطلع اسمى عاطفة في الوجود ويزدهر رحاها لاحد له تقر به عين الانسانية ويفعم ينبوع هذا الحب في كل مكان يرسم على كيانها آثاراً لا تمحى . ولا

يضمحل حب المرأة الا بافتراض آخر رجل فارقها وجودها يحملها على حفظ العهود وصيانة المواثيق ويحق للمرأة ان تفاخر بوظيفتها الاجتماعية فان الامومة هي مصدر الفضائل والمحبة الغريزية التي يحيا بها المجتمع الانساني وهذا الحب الشديد الذي يفصل بينها وبين الرجل ليس الا ليبوأها في الهيئة الاجتماعية مكانة اسمى من مكانته اذا انما تكافل الجنسين دون مساواتهما في العظمة واشتراكهما في مقاساة الآلام

كذب المرأة — تمو على شجرة حياة المرأة في احوالها المختلفة فروع تخيل للرائي انها الفروق الفارقة بين الجنسين وكثيراً ما يمر بها المفكرون غير محتفلين بالاسباب الطارئة التي جعلت بعضها نضيراً زاهراً يستهوي العيون مرآه والآخر ذاوياً جافاً ينبو عنه البصر على انا اذا بدأنا بهذه الشجرة تلاشت الفروع القائمة ولو اتصلت بالمرأة صروف الرجل لكان لها فضائله ورذائله

ومما وجدنا اجدر من رأي من يأخذ على المرأة اختلاقها باسباب الرياء وهي سلاح الضعفاء في النزاع الحيوي ولا بد لنا من كلام يزيد القضية وضوحاً ونحن نرى علماء النفس على اتفاق في هذا الحكم الذي يشمل المجتمعات الانسانية من ارقاها الى ادناها فاذا قضي على الضعيف ان ينازع القوي مال الى المراوغة والكذب وذلك شأن المرأة فكلما تحرج موقفها لجأت الى الافك والبهتان ذوداً عن نفسها ويقول سبنسر « ان الكذب يرافق كل حالة اجتماعية قائمة على دعائم القوة والخوف قوة السائدين وخوف المسودين قوة واقتداراً » غير ان الفلاسفة والمشترعين وعلماء النفس والشعراء والقصصيين اغضوا عن مصدر الشر وجعلوا الكذب صفة غريزية في المرأة ومشى على هذا المذهب الشارعون فحرموا المرأة حق الشهادة زاعمين انها اقل صدقاً من الرجل فادى ذلك الى استطرادها في هذا السبيل وما كان ذلك الا ليزيد تعاسة الرجل فشقاؤه ورياؤها متلازمان والآلام التي يكبدها اياها تحسد نقاء حياته العائلية فالمرأة عنصر يدخل في حياة الرجل وفي وسعه ان يطهر ذلك العنصر او يفسده

نمت في روحها انها لم تخلق الا لارضائه فتوسلت الى هذه الغاية بوسائل ماكرة واضطرت ان تصنع استار الطوارئ التي تلم بها فتذهب بروعة جمالها ومالت الى اغرائه ببهرجتها فتزينت وتبرجت وتحلت حللاً عذبة تسردها عن غير شعور وزاغ بها حب التصنع عن طبيعتها واكسبها صفات مستنكرة حتى سهل عليها بتوالي الازمان كتمان عواطفها والتظاهر بما لا تحس به فاصبحت تصرخ اذا مستها شوكة ولكنك اذا

استنزف الالم وجودها واقتنعت من الرجل ان يحميها لاجلها وانه يميل الى المرأة الضعيفة

ثم ضعفت فيها ملكة النقد والتمييز باهمال تنميتها فاصبحت تنظر الى المحسوسات نظراً مزوراً وتفسرها على غير حقيقتها ولم يشعر الرجل الا والمرأة قد تبدلت وباتت بعكس الصفات التي ارادها اياها وهو لا يزال لا ينفك يبث كل الغث في المجتمع حتى اصبح دعامة الحياة العامة

كذب الرجل . — لا تنكر ان المرأة اشد رياء من الرجل غير انه ليس بالذات هذه الصفة وانما الفرق في الكمية لا في الكيفية وقد تكذب المرأة وتداجي ولا تجر مداجاتها على الهيئة الاجتماعية ما يجره بهتان الرجل من الويلات فانه يخلق وجوداً من الشرائع الكاذبة ويساعد بقاءها ويزرع البغضة بينها لا بين الافراد فقط بل بين الاجناس والشعوب وما السلم المسلح سوى اكذوبة هائلة نفذت الى جميع الضمائر فمن التهذيب العام والخاص وعلاقات الطبقات الاجتماعية ومبادىء الحكومات والعدل وتحديد حقوق الوطنيين وواجباتهم تتولد تلك الاكاذيب الهائلة وتفسد البيئة التي نعيش فيها فهذه العواطف غدت وسيلة الخداع والوطنية مدرجة المطامع الشائنة والتزوير عنصراً جوهرياً للحياة فالسلطة الفردية تستعين بالقول ان حق الملك من حق الله والديمقراطيون ينادون بوجوب المساواة وكلا الفريقين ذريعة الى القبض على السلطة ولم يكتف مدعو الزعامة بادخال السم في الحياة العامة حتى جاهروا بذلك غير خجلين وقد اقترنت الانانية على الهيئات والاديان فبينا نرى التعاليم الدينية تقضي علينا بمحبة القريب نجد المتدينين يتنازعون ويتقارعون والشعوب تتطاحن في مضمار الجهاد

والصنائع من ارقاها الى ادناها مدعومة بالافك والتزوير وهؤلاء السياسيون يأتون ضروب الغش والرياء ويرتقون المناصب على سلالم المواعيد التي يستحيل تحقيقها وكلما قام مصلح لمقاومة البهتان رموه بضعف الوطنية وكل ذلك من عمل الرجل

وحسبنا بما تقدم دليلاً على مبلغ الرجل من الافك مما حمل المرأة ان سعت في دورها الى اقتفاء آثاره وهي لضعفها الطبيعي وعجز منها انحصرت في الاكاذيب البسيطة وافرط رفيقها في البهتان

يستحب الرجل في شريكة حياته الرقة والخضوع شأن كل كائن قوي تعزيها في عين وداعة الورقاء ويحبب اليها القوة والرجولية ومهما بلغ من اخلاقه فالمرأة مدعوة الى مجاراته على اهوائه احتفاظاً بعطفه وصيانة لنوع الانساني فلم يكفها في ذلك حالها ورقتها بل عمدت الى استرضائه فقلبت فطرتها توصلاً الى بلوغ هذه الغاية وما وقفت عند حد

التبرج والميل الى التأنق مظهراً مغرياً ملائماً لميوله فتأصل حب الاسترضاء في نفسها حتى غدا لها طبيعة ثانية واثّرت فيها الوراثة والانتخاب الطبيعي حتى صيّرت ارضاء الرجل الغاية الكبرى من حياتها وارتاح الرجل الى تلك المظاهر مأخوذاً بما فيها من الروائع الخلابة فاعمته رياء الزهو عما فيه من السم الزعاف واستعدت المرأة بجهودها في استمالته ولو شوهت تكوينها المعنوي فاصبحت كثيرة المجاملة قديرة على كتمان عواطفها تتظاهر بالاقتناع والقناعة تثور في داخلها وتلقي على نفسها ستراً وخادعت شريكها بقولها وحركاتها وابتساماتها فعوض ذلك على انها لم تخسر طبيعتها الانسانية في عصور العبودية والرق فهي ما انفكت تحفظ من بقايا الانسانية ما يدل على نبلها وصلابتها ومقاومتها لاساءة الرجل من الحيف والضغط

تعاقبت القرون وتأثير الاحوال الخاصة يعمل في نفس المرأة حتى جعل لها سمة خاصة فطرت في ارضاء الرجل جميع غايات حياتها الدنيوية غير عابئة بما يسومها من ضعف شخصيتها ولكن مرونة النفس البشرية لا نهاية لها وفيها استعداد تام للرقي المعنوي فما زالت الظروف التي تبدل من وجدانها شملت الحرية واستعادت ما فقدته من المواهب وخرجت الشعوب المنحطة من بيئتها المظلمة لتضارع ارقى الشعوب مدنية ويكفي لمحو تأثير عشرين قرناً جيلان او ثلاثة اعقاب فهذه نساء الاوربيين كانت منذ قرن واحد سادرة في ظلمات الجهل فما انفتح لها باب المدنية حتى صرن [illegible] اليوم لسن دون النساء الانكليزيات وزنوج الولايات المتحدة عدوا منذ مائة عام بين احط الشعوب الافريقية وقد بلغوا اليوم شأواً بعيداً في الحضارة وشغلوا مركزاً راقياً في عالمي الاقتصاد والاجتماع

وكان يعزينا اليأس من المستقبل لولا ان الانسان استطرق في سبيل الاصلاح واضاف الى النقائص المرونة ما تقوم العصور بتواليها غير ان النفس مرنة ومرونتها تنعش الرجاء بالمستقبل والمرأة في ذلك على مستوى الرجل فتبدل تهذيبها ومركزها الاجتماعي تستعيد الصدق احدى صفات السادة وتهجر الرياء وهو تركة عصور العبودية وعلى هذا المنوال يتغير مجموع الصفات الاثيرية لان نفوسنا تتكيف على ما يلائم شروط البيئة لم يخلق الرجل ولا المرأة كاذبين او صادقين لذا مازج البهتان حياتهما لم يكن الا عقبى العلاقات التي ربطت الجنسين

بعض الصفات . — تنمو في المرأة حاسة الفهم والملاحظة فتستكشف مقاصد

الرجل وتعمل على [illegible] الكشوف [illegible] خاصة كما استفادت نفائس خاصة واصبحت قادرة على [illegible] من الرقي والنظر في اعماق نفس الرجل المرنة [illegible] [illegible] فيها فعرفت كيف [illegible] لاعادة [illegible] واصبحت مداعبتها اوضح الرأي واشد فعلاً واستخلصت [illegible] شخصية الرجل اذلا يمنعنا من الانقياد الى الغير [illegible] على [illegible] المرأة فقدت هاتين الخاصتين واستغرقت في حياة الرجل واصبحت العنصر الجوهري لسعادتها وشقائها

لو ان [illegible] الناحية [illegible] فيها [illegible] فوق ما يشعر به الرجل في [illegible] الايام لا بد ان تفهم من هذه العواطف

مالت المرأة الى الوهم [illegible] تهذيبها ما تبرع بها هذا المخرج فولعت بقراءة الروايات [illegible] الحب لانها تحب الحب وعكفت على مطالعة الاقاصيص [illegible] مصدر عواطف لا تنضب غير ان انصرافها الى القصص [illegible] ذلك

التصورات [illegible] الرجل في دوره الى الغرام [illegible] اجل من حدوده [illegible] في نفس المرأة [illegible] الاكبر في حياتها وهي غير حقيقية [illegible] الانسانية يصعون دعائم مستقبلها وتشغل الناس بالاوهام [illegible] الحقائق الثابتة ولعل مؤرخا [illegible] في القرن الثلاثين [illegible] من الرقي [illegible] ارتقائها في مستوى [illegible] بعيداً عن الحقيقة وهنا نجد داء المرأة [illegible] الرجل [illegible] استغرق الحب وجودها [illegible] اعظم [illegible]

حياة المرأة [illegible] حملتها [illegible] لا في مظاهر الحياة ودق [illegible] الرجال والسحرة [illegible] هي

[illegible] نفس المرأة [illegible] هي [illegible] المرأة [illegible] مركزها [illegible] الصفات [illegible] كثيرا [illegible] في معارضته في الفكر [illegible]

خواص تقربها من الولد حتى وصفها بعضهم بقوله انها رجل غير كامل الا انها تستطيع في دورها ان تعزو الى الرجل ذلك اللقب ولقد يكون الطفل في حالة نموه احد ذهناً واوفر ذكاء من الرجل إذا تراجع في سلم النشوء وهو على الاطلاق اطهر منه قلباً واقل اهتماماً

الارتقاء العقلي لا يجري على خط مستقيم فينهض بنا طوراً الى اعلى الذرى ويحطنا تارة الى اعمق المهاوي وهذه المميزات التي تفصل بين الرجل والمرأة ليست سوى نتيجة عوارض طارئة تزول بزوالها ومهما يكن من موقف المرأة ازاء الرجل فهو اثر من آثار المركز الذي وجدت فيه خلال عصور متوالية فهي كما وصفوها رجل ناقص لانها امرأة غير كاملة ومما يعزينا انها لم تخسر في عصور العبودية ذرة من القوة العضوية فيعجزها فقدانها من استعادة مركزها واقل تغيير في شروط حياتها العقلية والخلقية يمكنها من استرجاع الصفات التي اضاعتها

ان نجاح المرأة في عصرنا الحاضر يبعث في نفوسنا آمالاً ناضرة وبما ان ارتقاء الرجل قائم بارتقاء المرأة يحق لنا الوثوق بمستقبل الانسانية الزاهر . اه معرباً بتصرف

من مقالة لجان فينو في المجلة الباريزية دمشق : جرجي الحداد

◆

ابن زيدون (١) وابن جهور

هذه رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي (٣٥٤ — ٤٦٣) كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس توفي عام (٤٤٣) يستعطفه بها لما كان في اعتقاله

(٢) يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن ابقاه الله

---

(١) (المقتبس م) ص ٤٤٩ و٤٨٦ و٤٨٤

(٢) لابن زيدون رسالتان فريدتان في اسلوبهما ضمنهما كثيراً من الامثال العربية والاشارة الى وقائع تاريخية مهمة

احداهما الرسالة التي كتبها الى الوزير ابي عامر بن عبدوس يسخر به فيها وجعلها على لسان ولادة بنت المستكفي الاديبة الاندلسية المشهورة وقد شرحها جمال الدين بن